

الفصل الثالث

بيت المقدس في كنف الإسلام

- في عهد الرسالة.
- في عهود الصحابة.
- في عهود الخلافة الأموية.
- في عهود الخلافة العباسية.
- في عهود الخلافة العثمانية.
- سقوط بيت المقدس بأيدي النصارى.
- سقوط بيت المقدس بأيدي اليهود.



أطماع اليهود المستقبلية في أرض الأمجاد الإسلامية

بيت المقدس في كنف الإسلام

احتلت القدس والمسجد الأقصى منزلة رفيعة في الإسلام، بعد أن تحولاً إلى إرث الأمة الخاتمة، ولم يكن تعلق المؤمنين من بني إسرائيل بهذه المقدسات بأكثر من تعلق المؤمنين من أتباع محمد ﷺ بها؛ فالقدس والأقصى يسكنان قلب كل من له قلب من المسلمين.

ولقد جاء النبي الخاتم محمد ﷺ بالشرعة الخاتمة، والكتاب الأخير المهيمن على كل ما سبقه من كتب وما سلفه من رسالات: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، الأمر الذي ألقى مسؤولية حفظ وتكريم المقدسات على كاهل المنتسبين للكتاب المهيمن والرسالة الخالدة.

إن مكة والكعبة كانتا مقدستين في ملة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فامتد تقديسهما وتكريمهما عند هذه الأمة المسلمة. وبيت المقدس والمسجد الأقصى كانا مقدسين في ملة إبراهيم وإسحاق، وامتد تقديسهما وتكريمهما كذلك عند الأمة المسلمة.

وقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات البركة والطهر والقدسية في آيات متعددة:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خَاسِرِينَ ﴿ [المائدة: ٢١] .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ .

[الأعراف: ١٣٧] .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨] .

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١] .

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٨] .

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠] .

وجاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها في سورة التين: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ . [التين: ١-٣] ^(١) .

- وفي قوله - تعالى - عن عيسى وأمه - عليهما السلام - : ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون ٥٠] ، إشارة إلى بيت المقدس ، كما قال قتادة وكعب والسدي ^(٢) .

- وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١] ورد في تفسيرها أن المنادي هو إسرئيل ؛ ينادي من صخرة بيت المقدس ^(٣) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ، (٤/ ٥٦٣) .

(٢) انظر فتح القدير ، (٣/ ٤٨٦) .

(٣) ابن كثير ، (٤/ ٢٤٧) .

- وفي قوله - تعالى -: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [النور: ٣٦]، جاء في تفسيرها عن عكرمة أنها المساجد الأربعة: الكعبة، ومسجد قباء، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس^(١).

قال الإمام ابن تيمية: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين - عليهم السلام - مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين، أن الخلق والأمر ابتداء من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن «ملك النبوة» بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسرى النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»^(٢).

وقال ابن كثير في تفسير آية الإسراء: «... إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ»، هو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن^(٣) الأنبياء من إبراهيم الخليل - عليه السلام - ولهذا جُمِعوا له هناك ﷺ كلهم، فأَمَّهم في محلَّتهم ودارهم، فدل على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم^(٤).

(١) فتح القدير، (٤/ ٣٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٤٣/ ٤٤)، مكتبة ابن تيمية، مصر.

(٣) معدن الأنبياء أي: الأصل الذي نبتوا فيه.

(٤) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٢).

الفصل الثالث

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين. وكان في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى - وهو المعبد العريق في القدم - هي الصبغة الإسلامية، فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء.

ولقد سُميت السورة التي ذكر فيها المسجد الأقصى سورة (الإسراء) وسورة (بني إسرائيل)، وجاء فيها قوله - تعالى - لبني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]. أي إن عدتم للإفساد عدنا عليكم بالعقوبة، ففي حادثة (الإسراء) إلغاء أبدي وطي سمردي لصفحة (بني إسرائيل) من سجل التفضيل والاصطفاء.

ولا شك أن في اقتران الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى بالمسجد الأقصى دليلاً باهراً على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدس عند الله - تعالى - ودليلاً كذلك على صحة القول بأن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا، وأنه المصعد من الأرض إلى السماء؛ ولهذا عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء منه.

وقد وردت إلى جانب الآيات أنفة الذكر أحاديث نبوية يتبين لنا منها مدى ما لبيت المقدس والمسجد الأقصى من منزلة وفضل في الإسلام منها :-

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى » (١).

(١) رواه البخاري (٨٦/٣) (٢٠)، كتاب فضل الصلاة (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، (١١٨٩) واللفظ له ، ورواه مسلم (١٠١٤/٢) (١٥)، كتاب الحج (٩٥) باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، رقم (٥١١)، والحديث مروي عن جماعة من الصحابة بحيث دخل في حد المتواتر .

٢ - عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وُضع في الأرض . قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أي ؟ قال : «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما ؟ قال : «أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل»^(١) .

٣ - عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عُرج بي إلى السماء»^(٢) .

٤ - عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدَّجال ، فذكر الحديث وفيه : « .. وعلامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى ، والطور»^(٣) .

٥ - عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً : حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩/٦) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١٠) باب - رقم (٣٣٦٦) و(٤٠) باب قول الله تعالى : ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ رقم (٣٤٣٥) ، وأخرجه مسلم (١/٣٧٠) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رقم (١ ، ٢) واللفظ له .

(٢) رواه مسلم (١/١٤٥) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، فرض الصلاة ، رقم (٢٥٩) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/٣٦٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٣) ، وقال : رجاله رجال الصحيح ، وقال ابن حجر : رجاله ثقات - فتح الباري (١٣/١٠٥) .

الفصل الثالث

ولدت أمه»، قال رسول الله ﷺ : «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة»^(١).

٦ - عن ميمونة مولاة النبي ﷺ وسلم قالت : قلت : يا رسول الله ، أفتنا في بيت المقدس ؟ قال : «أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا ، فإن صلاة فيه كَألف صلاة في غيره» . قلت : أ رأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه ؟ قال : «فتهدي له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»^(٢).

٧ - عن ذي الأصابع - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله : إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا ؟ قال : «عليك ببيت المقدس . فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون»^(٣).

٨ - عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال له : « يا أبا ذر ، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟ قال : قلت : إلى السعة والدعة ، أنطلق حتى أكون من حمام مكة . قال : كيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟ قال : قلت : إلى السعة والدعة ،

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٦/٥)، ورواه ابن ماجه (٤٥٢/١) (٥)، كتاب إقامة الصلاة (١٩٦)، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ، رقم (١٤٠٨) وصححه الألباني في التعليق الرغيب (١٣٧/٢) ، وصحيح ابن ماجه (رقم ١١٥٦).

(٢) رواه أحمد (٤٦٣/٦)، ورواه أبو داود (٣١٥/١) (٢)، كتاب الصلاة (١٤)، باب من السرج في المساجد رقم ٤٥٧ . ورواه ابن ماجه (٤٥١/١) (٥)، كتاب إقامة الصلاة (١٩٦)، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس رقم (١٤٠٧)، وقال في مصباح الزجاجة (٢٥٠/١): «وإسناد طريق ابن ماجه صحيح ورجاله ثقات ، وهو أصح من طريق أبي داود».

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨٧/٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤)، وقال : «رواه الطبراني في الكبير ، وعبد الله في زيادته على أبيه . وفيه عثمان بن عطاء ، وثقه دحيم وضعفه الناس» . انظر ترجمة (عثمان بن عطاء) تهذيب التهذيب (٣٨/٧).

إلى الشام والأرض المقدسة. قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت: إذن - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي على عاتقي..»^(١) الحديث.

٩ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة»^(٢).

١٠ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس. قال: فقلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»^(٣).

١١ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنزير، تبیت معهم حيث باتوا، وتقليل معهم إذا قالوا، وتأكّل من تخلف»^(٤).

١٢ - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهب به، فأتبعت»

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧٩/٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٦/٥)، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا السليل ضريب بن نقير لم يدرك أبا ذر.
(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد (١٠/٦٣، ٦٤).
(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣٣/٧)، ح (٥١٤٦)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في الترمذي مع التحفة (٦/٤٦٣-٤٦٤)، وصححه الألباني.
(٤) رواه أحمد (٨٨/١١)، ح (٦٦٨٧١)، والطيايسي، ح (٢٢٩٣)، بنحوه، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

بصري، فعُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»^(١).

١٣ - عن ابن حوالة الأزدي - رضي الله عنه - قال: «وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، أو على هامتي، ثم قال: يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك»^(٢).

١٣ - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يشرب، وخراب يشرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه، ثم قال: «إن هذا الحق كما أنك ها هنا - أو كما أنك قاعد» يعني معاذاً^(٣).

١٥ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرف إلى الكعبة»^(٤).

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩٨/٥، ١٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٢/٧)، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة، وقال ابن حجر: سنده صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٨٨/٥)، وأبو داود (٤١/٣)، (٩) كتاب الجهاد (٣٧) باب في الرجل يلتبس الأجر والغنيمة، رقم (٢٥٣٥)، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/٤٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح (٧٨٣٢)، ومشكاة المصابيح ح (٥٤٤٩).

(٣) رواه الحاكم في مستدرکه موقوفاً على معاذ. وقال: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي. قال ابن كثير في هذا الحديث: إسناده جيد، وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجمالة النبوة.

(٤) أخرجه أحمد (٣٢٥/١)، والبخاري نحوه عن البراء (٨) كتاب الصلاة، (٣١) باب: التوجه نحو القبلة حيث كان.

وهذه المناقب والفضائل كانت حادياً للمسلمين منذ عهد الرسالة ثم عهد الصحابة ثم ما تلا ذلك من عهود؛ لكي يرفعوا رايات الجهاد، كلما تهددت قدسية الأرض المقدسة بسوء، وكان علماء الإسلام يشحذون همم المسلمين بتلك المناقب لكي تظل الأرض المقدسة في الشام خالصة للتوحيد، كما هو الشأن في مكة مهد التوحيد.

هذا، وقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: «ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته في تحضيض المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهبي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه، وهذه المناقب أمور: أحدها البركة، وثبت بخمس آيات من كتاب الله؛ حيث ذكر الله أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرئ الرسول ﷺ إليها، وانتقال بني إسرائيل إليها، ومملكة سليمان بها، وأيضاً ففيها الطور الذي كلم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة (الطور)، وفي: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَيْتُونِ﴾ وَطُورِ سِينِينَ [التين: ١، ٢]، وفيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها مسرئ نبينا ﷺ، ومنها معراج، وبها ملكه وعمود دينه وكتابه، وطائفة منصور من أمته، وإليها المحشر والمعاد، كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى، من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس، كما في قوله - تعالى - ﴿لأول الحشر﴾؛ حيث نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإيلياء معاد في الخلق وكذلك في الأمر؛ فإنه أسرى بالرسول ﷺ من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتماحه بالشام. فمكة هي الأول، والشام هي الآخرة في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»^(١).

(١) مجموع الفتاوى، (٢٧/٥٠٥).

تنبيهات هامة:

أولاً: نُذَكِّرُ بأن أرض المسجد الأقصى هي أرض مقدسة بغض النظر عن وجود بناء لمسجدٍ فيها أو عدم وجوده، فهي كانت مقدسة قبل أن يبنى فيها المسجد، تماماً كما كانت الأرض التي عليها الكعبة مقدسة قبل أن يبنى إبراهيم - عليه السلام - الكعبة عليها. فالمكان نفسه مبارك - أي مكان أرض الكعبة - كما قال - سبحانه -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] فظهر من هذه الآية أن المكان مبارك مقدس، وما كان كذلك فلا يمكن أن يأذن الله - تعالى - شرعاً بأن يكون سكناً خاصاً بالمشركون والكافرين فضلاً عن أن يقيموا فيه شعائرهم الكفرية والشركية.

وكذلك الأمر في أرض بيت المقدس التي وصفت بالبركة والقدسية في آيات كثيرة كما سبق ذكرها. وقد مرَّ أن النبي ﷺ عندما أسري به إلى المسجد الأقصى لم يكن هناك بناء إلا السور المحيط بأرض المسجد، ثم أضفى المسجد عليها قدسية أخرى لأنه المكان الذي تمارس فيه عملياً شعائر التوحيد المأمور بها، ولهذا تختص تلك الأماكن المقدسة بأن ما يقام فيها - من المساجد التي تشد إليها الرحال - أمر توقيفي؛ ليس لأحد أن يغير مواضع وأماكن البناء فيه، يقول ابن تيمية: «ولم يبن أحد من الأنبياء - عليهم السلام - مسجداً ودعا الناس إلى السفر للعبادة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة»، ثم قال: «ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه»^(١).

(١) مجموع الفتاوى، (٢٧/٣٥٣).

ثانياً: من التعبيرات الشائعة خطأً بين الناس وفي سائر وسائل الإعلام وصف المسجد الأقصى أو الساحة حوله بأنها (حرم)، فيقال: (الحرم القدسي) أو (ثالث الحرمين) أو نحو ذلك، وهذا التعبير خطأً من الناحية الشرعية؛ لأن المسجد الأقصى والساحات المحيطة به مع أنها مباركة ومقدسة بنصوص الوحي إلا أن ذلك الوحي لم يُثبت لها حكم (الحرم) الذي تتعلق به في الإسلام أحكام خاصة، مثل ألا يقطع شجره، ولا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه ولا تُلْتَقَط لقطته، إن تلك الأحكام ثابتة في حرمي مكة والمدينة ولها تفاصيلها في مظانها من كتب الفقه، أما أرض المسجد الأقصى، فلم يتعبدنا الله - تعالى - بهذه التكاليف فيها على ما قرره أهل العلم، وإذا كان وصف (الحرم) لا يصدق على المسجد الأقصى؛ فإنه لا يصدق على المسجد الإبراهيمي من باب أولى، فلا يصح أن يقال: (الحرم الإبراهيمي).

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «ليس بيت المقدس مكان يسمى (حرماً) ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع، إلا ثلاثة أماكن: أحدهما: هو حرم باتفاق المسلمين، وهو حرم مكة شرفها الله - تعالى - . والثاني حرم عند جمهور العلماء، وهو حرم النبي ﷺ من غير إلى ثور، بريد في بريد؛ فإن هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد، وفيه أحاديث مستفيضة عن النبي ﷺ، والثالث «وج» وهو وادٍ بالطائف، فإن هذا روي فيه حديث رواه أحمد في المسند، وليس في الصحاح، وهذا حرم عند الشافعي لا اعتقاده صحة الحديث، وليس حرماً عند أكثر العلماء، وأحمد ضعّف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به، وأما سوى هذه الأماكن الثلاثة، فليس حرماً عند أحد من علماء المسلمين، فإن الحرم ما حرّم الله صيده ونباته، ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجاً عن هذه

الأماكن الثلاثة»^(١).

ثالثاً: الصخرة لا تتعلق بها عبادة خاصة في الإسلام، وعلى الرغم من التاريخ الديني العريق لها قبل الرسالة إلا أن دين الإسلام حصر التعظيم على سبيل التدين والتقرب في المسجد الأقصى، وهو الذي بناه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مكانه القائم به الآن، ولم يرض عمر - رضي الله عنه - أن يبنى المسجد خلفها، حتى لا تُتخذ قبلة للمسلمين بعد أن نسخ الله التوجه إليها بالكعبة المشرفة.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة، كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى - عليه السلام - ثم نُسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة، فليس للمسلمين أن يخصصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى»^(٢).

ولكن باعتبار أن مسجدها يدخل ضمن الأرض التي يطلق عليها وصف (المسجد الأقصى)، وهو كل ما كان بداخل السور؛ فإن فضائل المسجد الأقصى تعم أرض المسجد المقام على الصخرة، دون أن تختص الصخرة نفسها بعبادة خاصة، ولكن تبقى الصلاة في المسجد المخصوص الذي بناه عمر - رضي الله عنه - أفضل من سائر الساحة المباركة داخل السور.

قال ابن تيمية: «فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مقدمه. والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٧ / ١٤، ١٥).

(٢) المصدر السابق، (٢٧ / ١٢، ١٣).

(٣) المصدر نفسه، (٢٧ / ١١).

لمحات من تاريخ المسجد الأقصى وبيت المقدس في الإسلام:

بعد أن بينت - فيما سبق - المراحل التي مر بها المسجد الأقصى والأرض المقدسة في التاريخ السابق للبعثة، أشير الآن إلى المعالم التاريخية البارزة المميزة التي مرت بالمسجد المبارك والأرض المباركة من حوله خلال المراحل المتتابعة من التاريخ الإسلامي.

أولاً: في عهد النبي ﷺ :

صعد النبي ﷺ إلى السماوات العلى، ليرى من آيات ربه الكبرى، وكان المسجد الأقصى هو المكان الذي صعد منه . . وكان حدث المعراج شرفاً أثر الله به النبي العظيم من ذلكم المسجد العظيم ليرقى إلى ملاء عظيم في ليلة عظيمة . .

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يشرف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، ولكن الواقع أن بيت المقدس كان له نصيب آخر من أحداث عهد النبوة؛ إذ توجه إليه اهتمام الرسول ﷺ عملاً بعد أن ندب إلى تكريمه وتعظيمه معنىً.

فبعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تم فتح مكة المكرمة وأعز الله دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرفة . . تلفت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليظهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير . . تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلت بها.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث برسائل إلى هرقل عظيم الروم يدعوهُ إلى الإسلام، وبعث الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قبل الروم (شرحبيل بن عمرو الغساني)؛ ولكنه أوثق المبعوث رباطاً وقتله، ولم يُقتل

الفصل الثالث

لرسول الله ﷺ رسول غيره، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج للشام في العام الثامن للهجرة، فاجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل قد تهيؤوا للخروج إلى مؤتة^(١) ولم يخرج النبي ﷺ معهم، وفي هذه الغزوة قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة الذي تناول الراية من يد أخيه جعفر بعد استشهاده، ثم لما قتل ابن رواحة شهيداً التقف الراية سيف الله المسلول خالد ابن الوليد، ففتح الله عليه بأن انسحب ببقية الجيش انسحاباً آمناً بعد أن ناوش الروم ونال منهم حين انسحابه، وقد حمد له النبي ﷺ هذا الصنيع.

ثم إن الروم قد بدأت بحشد الجيوش للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزمامة العالم النصراني من هناك؛ حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى - عليه السلام - ومنها رُفِعَ، وهم يدعون أنه صُلب وقُتل ثم دُفن فيها^(٢)، وأعد الرومان حشودهم ليعيدوا الكرّة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة، وتنامت إلى أسماع المسلمين أنباء الإعداد النصراني، ومع أن قتال الروم ليس بالغزوة السهلة أو الموقعة اليسيرة لكون دولتهم دولة عظمى آنذاك، تبسط سلطانها على عدة قارات، مع ما تملك من الموارد الكثيرة رجالاً وأموالاً. مع ذلك كله لم يجد النبي ﷺ بداً من استنفار المسلمين لملاقاة ذلك العدو المستكبر، وذلك بعد منصرفه من الطائف في السنة التاسعة للهجرة.

(١) مؤتة منطقة تقع شمال البتراء في شرق الأردن، قرب الطرف الجنوبي للبحر الميت من جهة الشرق.

(٢) نقلت إذاعة لندن في ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ م خبراً مفاده أن متحدثاً كنسياً باسم الكنيسة الإيطالية أكد أن الاختبارات البريطانية أثبتت بما مقداره (٩٥٪) من اليقين أن المكان الذي اشتهر بأن المسيح عيسى بن مريم مدفون فيه خلال قرون طويلة مضت، ليس هو المكان الذي فيه المسيح! وأن الكفن الموضوع هناك يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي!

وقد اكتنفت إعداد الجيش الذي أنشئ لقتال الروم في الشام ظروف عصبية، حتى سُمي جيش العسرة، والآيات التي أنزلت في القرآن متعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال بين أهل الإسلام وغيرهم من ملل الكفر. . فسورة التوبة تفيض بصفحات طوال عن أنباء وأحوال جيش العسرة.

ولما بلغ الجيش الإسلامي تبوك لم يجد للرومان أثراً يدل على استعداد لحرب، فيبدو أنهم آثروا الاختفاء عن ملاقاته جيش الإسلام الفتى الذي خرج في عدد لم يخرج المسلمون بمثله من قبل؛ إذ كان نحواً من ثلاثين ألفاً من المقاتلين المعبئين تعبئة لم تُسبق لجيش إسلامي، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزة للمسلمين، فأقفل الرسول ﷺ بالجيش عائداً إلى المدينة بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقاءهم^(١).

وبعد أن عاد ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أراضي الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- وكان أسامة شاباً حدثاً لم يجاوز الثماني عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- الذي قتل في غزوة مؤتة وأن يوطيء الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين، وكان ذلك مع مبدأ شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه.

وتجهز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذا الوقت اشتدت برسول الله ﷺ شكواه التي قبضه الله -تعالى- فيها، فأقام الجيش هناك ينتظرون ما الله قاضٍ في هذا الأمر.

(١) انظر تاريخ الطبري، (٣/١٤٦، ١٤٧).

ثانياً: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

اختار الله - عز وجل - نبيه ﷺ للقائه، وآثر ﷺ الرفيق الأعلى على البقاء في الدنيا . واختارت الأمة أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ في ظروف عصيبة، ومنعطف حاد في مسيرة الدعوة الإسلامية .

وبدأ الخليفة الجديد في ترتيب أمور الدولة والإبقاء على النظام والاستقرار فيها، ووجد بعث أسامة ينتظر قراراً بالإنفاذ أو الإيقاف؛ ولكن الصديق كعادته في الوفاء لرسول الله ﷺ أبى إلا أن يُنفذ جيشاً أعده الرسول ﷺ قبل وفاته، ووجه الجيش إلى تخوم البلقاء، فسار إلى حيث وجهه أبو بكر . ولم يكد عهد أبي بكر - رضي الله عنه - يستقر حتى تداعت فتنة العرب المرتدين تتكالب على أمة لم تندمل جراحها بعد بسبب مصابها الجلل في قائدها وإمامها ونبيها ﷺ .

وشمر أهل الدعوة للدفاع المستميت عنها في حقبة رهيبة، ومع ذلك لم ينشغل القائد والخليفة بمهم الأحداث عن أهمها، ولم تلفه تداخلاتها، بل نسَّق جهوده، ورتب خطواته في مسيرة الحفاظ على الأمانة التي تحملها أمام الله - تعالى - وأمام أمة الإسلام .

أدرك أبو بكر - رضي الله عنه - خطورة الخطوة التي تجرأ عليها المرتدون، وعزم على قتالهم، ولم يلتفت إلى نصيح من نصحه بالكف عنهم، وقال قولته: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة» . وقال «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي، ولو خالفني يميني لقاتلتهم بشمالي» . ونُصح أبو بكر أيضاً بالاستفادة من بعث أسامة في قتال المرتدين، ولكنه أصر على إتمام إنفاذ جيش أسامة .

وَأتم الله - تعالى - لأبي بكر النصر الحاسم على المرتدين، وتوجه نظره بعد

ذلك إلى توجيه جيش إسلامي كبير إلى الشام وإلى العراق، فوجه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاه إمرة الجيوش، كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثني عشر ألفاً^(١)، ثم أسند أبو بكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق، وبدأ الصدام بين جند الرحمن وجند الشيطان، والتقى يزيد بن أبي سفيان في وادي عربة جيشاً نصرانياً يقوده البطريق (سرجيوس)، فهزمه شر هزيمة سنة ١٣ هـ، ثم وقع الالتقاء الثاني بين جيش الإسلام وجيش الروم بقيادة (ثيودورس) شقيق هرقل، في جمادى الأولى من العام نفسه في منطقة (أجنادين)^(٢).

وكان (ثيودورس) قد توجه بجيشه البالغ مائة ألف مقاتل، زوده بمعظمهم هرقل، وظل هرقل في حمص، وعين قائداً آخر هو (وردان) على اثني عشر ألف مقاتل ووجهه إلى بعلبك، وأمره أن يحاول منع المسلمين من التجمع تحت قيادة خالد بن الوليد الذي كان مُحاصِراً لدمشق في ذلك الوقت، وجرت محاورات والتفافات قرر هرقل بعدها تجميع جيوشه في أجنادين، فتجمع جمع مبارك من أفذاذ القادة المسلمين حتى ينهزم الجمع المشترك ويولوا الأدبار.

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه وكان بأرض بصرى، ومعاذ بن جبل بجيشه وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر، أما عمرو بن العاص فكان بفلسطين، واتجه الجميع إلى

(١) انظر الكامل، لابن الأثير، (٢/ ٢٢).

(٢) منطقة في فلسطين بين الرملة وبيت جبرين.

الفصل الثالث

أجنادين بفلسطين، يتقدمهم سيف الله المسلول . وكان في المؤخرة أبو عبيدة مع الأحمال والأموال، وبدأت رحى المعركة تدور بضراوة حتى انجلى غبارها عن نصر مظفر لأهل لا إله إلا الله .

وتمخضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا واللد، وفتح عمرو بن العاص مدناً أخرى منها يافا ورفح^(١) . وبهذا مهدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق الطريق للزحف نحو بيت المقدس .

وطار الرشاد من عقل الدولة البيزنطية وهي تعاین معاقلها تتهاوى وحصونها تندك تحت أقدام جند الله المؤمنين، فحشدت جيوشاً جرارة أخرى قوامها خمسون ألفاً، وقيل مائة ألف مقاتل، وتجمع الجيش الروماني في اليرموك بقيادة (ثيودورس) أخي هرقل ليواجه جيش المسلمين البالغ خمسة وعشرين ألفاً منهم ألف صحابي ومائة بدري، إلا أن الله - عز وجل - نصر جنده مرة ثانية وفتح للمسلمين فتحاً مبيناً، وتمت السيطرة على المنطقة الوسطى من سوريا التي تحمي ظهورهم بالبادية مما مهد لفتح بيت المقدس بعد ذلك .

وبعد هذه الأحداث بوقت قريب لحق أبو بكر بملاً السماء، وظفر جثمانه الطاهر بجوار الرسول ﷺ في يوم ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ، بعد أن أنجز الوعد ووفى بالعهد .

ثالثاً: في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

انتهى دور خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في قيادة جيش اليرموك بانتهاء حياة أبي بكر - رضي الله عنه - وعين عمر بن الخطاب أبا عبيدة قائداً بعد خالد،

(١) انظر: (فتوح البلدان)، للبلاذري، ص (١٤٤، ١٤٥) .

حتى لا يفتن الناس بخالد المظفر الذي لم يهزم في معركة قط ، وحتى يعلموا أن النصر من عند الله وليس من عند خالد .

ووجه عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - لفتح المدينة المقدسة ، وكان معسكراً في الجابية^(١) ، ولما وصله رسول عمر قام أبو عبيدة بتوجيه خالد بن الوليد في خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس ، ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبي سفيان ، ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة - رضي الله عنهم جميعاً - واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة ، وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة في أيام برد شديد ، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار بعد مرور أربعة أشهر ، فطلبوا الصلح من أبي عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه .

فأجابهم أبو عبيدة إلى مرادهم وأرسل طالباً إلى الخليفة عمر - رضي الله عنه - أن يحضر لتسلم المدينة ، وجاء وفد أبي عبيدة إلى المدينة وبصحبته وفد من النصارى ، فسألوا عن أمير المؤمنين ليلغوه طلب رؤسائهم ، واشتد عجبهم عندما رأوا قائد دولة المسلمين مفترشاً الأرض تحت ظل شجرة يحتمي بها من قيظ الحر .

أجابهم عمر وقرر الخروج إلى إيلياء ، وكانت لا تزال تسمى بهذا الاسم ، ووصل عمر الفاروق المحدث المظفر إلى المدينة ليحرر مسرى رسول الله ﷺ من آصار الشرك الصليبي . ودخل القدس عن طريق جبل (المكبر)^(٢) الذي سمي بهذا الاسم لأن عمر - رضي الله عنه - لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبر وكبر معه المسلمون .

(١) وهي قرية من منطقة الجولان الآن .

(٢) وهو جبل (طور زيتا) .

وكان عمر - رضي الله عنه - ممتطياً بغيراً أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنة للزاد^(١) وذكر ابن الجوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام البعير، فلما رآه المحصورون أخذوا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريك النصاري (صفر يونس) وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة»^(٢).

وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريك أن يدلّه على مكان مسجد داود^(٣)، فسار وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوهم البطريك ليعمي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى (باب محمد) وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يمينا وشمالاً ثم قال: «الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود - عليه السلام - الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه»، وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل والمسلمون يحذون حذوه، ومضى عمر نحو مكان محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ﴿ص﴾ وسجد^(٤).

وذكر المؤرخون أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما دخل

(١) فتوح الشام، للواقدي (١/٢٣٥، ٢٣٦).

(٢) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (١/٢٥٧).

(٣) ولم يكن هناك بناء لمسجد، وإنما سُمي مسجداً باعتبار كونه مكان مسجد.

(٤) الأنس الجليل، (١/٢٢٥، ٢٢٦)، وانظر البداية والنهاية، (٧/٥٦ - ٦٢).

الساحة سأل كعب الأحبار الذي كان من جنود الفتح وكان يهودياً فأسلم - رضي الله عنه - سأل عن مكان الصخرة، فدلّه عليها وكانت مغطاة بالزبل، فأزال عمر ومعه المسلمون الزبل من عليها، وقرر أن يبني هناك مسجداً، فاستشار كعب الأحبار فأشار عليه أن يبنيه خلف الصخرة لتجتمع قبلتا موسى ومحمد - عليهما السلام - ولكن عمر رفض وقال له: «ضاهيت اليهودية يا كعب»، وأقام المسجد أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته^(١).

رابعاً: في العهد الأموي:

ظل المسجد الذي أقامه عمر بن الخطاب قائماً في عصور الخلفاء الراشدين التالية لعهد، حتى جاء عهد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أول خليفة في دولة بني أمية، فنودي بالبيعة له في مدينة القدس، ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠ هـ في مدينة القدس^(٢)، وتولى الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عملية إعمار المدينة المقدسة وتجديدها، وظلت أعمال الإعمار جارية على قدم وساق حتى أصبحت مدينة بيت المقدس في عهدهما من أعظم المراكز في الدولة الإسلامية فقد أعاد بناء الأسوار المحيطة بالمدينة، وأقاما الأبنية والقصور بجوار الزاوية الجنوبية لسور المسجد ليسكنها أمراء القدس في العهود الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية فيما بعد^(٣)، وأخذ عبد الملك البيعة لنفسه في بيت المقدس كما ذكر ذلك خليفة بن خياط^(٤). وتولى تشييد مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكلف عبد الملك لهذه المهمة أحد

(١) فتوح الشام، (١/٢٤٢).

(٢) انظر تاريخ الطبري، (٦/٩٣).

(٣) تاريخ القدس في الإسلام، ص ١١٩.

(٤) الطبقات، (١/٣٢٩).

الفصل الثالث

العلماء الأعلام وهو أبو المقدام رجاء بن حيوة، ومعه يزيد بن سلام. وكان البدء في ذلك البناء عام ٦٦ هـ - ٦٨٥ م. وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشيهدهما. وتم البناء عام ٧٢ - ٧٣ هـ، وبعد الانتهاء من ذلك الإنجاز، كتب رجاء ويزيد إلى عبد الملك بدمشق رسالة جاء فيها: «قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم كلام. وقد بقي مما أمر أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم، مائة ألف دينار - فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب».

فكتب إليهما الأمير: «قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك»، فكتبوا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلى نساتنا فضلاً عن أموالنا...»^(١).

أما الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، فإنه لما تولى الحكم طلب من جميع ولاته أن يزوروا المسجد الأقصى ويقسموا يمين الطاعة والعدل بين الناس فيه.

خامساً: في العهد العباسي:

ظلت المدينة المقدسة ومسجدها في صيانة وحفظ تحت جناح الدولة العباسية [١٣٢ - ٦٥٦ هـ]، وزاد اهتمام العباسيين بها في عهد أبي جعفر المنصور، فقد أولى المسجد الأقصى عنايته بعد أن تعرضت الأرض المقدسة لزلزال تهدمت بسببه أجزاء من المسجد، فلما وصل الخبر إلى الخليفة وقيل له: إن كل ما في بيت المسلمين لا يفي برد المسجد إلى ما كان عليه. لم يعجزه ذلك بل أرسل إلى أمراءه

(١) الأنس الجليل، (١/ ٢٧٣).

وعماله وسائر قواده بأن يتولى كل واحد منهم بناء رواق من أروقة المسجد، فبنوه أوثق وأمتن وأحسن صناعة مما كان عليه وكان ذلك في سنة ١٥٤ هـ^(١).

وكذلك قام الخليفة المهدي بإصلاحات في المسجد عام ١٥٨ هـ، وزاد في طوله، وفي عهد المأمون الذي بويع سنة ١٩٨ هـ، وجه نظره أيضاً لإصلاح المسجد بعد أن بليت بعض معالمه.

وظل المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محميين تحت كنف دولة العباسيين حتى انتهى عصرها.

سادساً: في العهد الطولوني ثم الإخشيدي ثم الفاطمي

استمرت القدس ومسجدها الأقصى في أمان واستقرار تحت حكم الطولونيين منذ تولي الحكم أحمد بن طولون، ودخلت تحت حكم الإخشيديين في عهد محمد بن طغج الملقب بالإخشيدي، واستمرت على هذا حتى انتهى عهد الدولة الإخشيدية.

ثم وقعت القدس تحت طائلة الحكم الرافضي العبّيدي في عهد الحاكم الفاطمي المعز لدين الله، حيث احتل قائده جوهر الصقلي فلسطين في عام ٣٥٩ هـ، إلا أن هؤلاء الحكام الفاطميين الذين تبنا ظاهراً المذهب الشيعي عملوا على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين، وتزاوجوا منهم، واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين والأطباء^(٢).

(١) تاريخ القدس، ص ٢١٥.

(٢) راجع تاريخ القدس، ص ٢٢٣.